رواية ابن الشعب

(التي مثلها الشيخ سلامه في مصر في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

(تابع ما قبله)

(تركنا ريشار في الجزء السابق وقد اصبح يدير ببلاغته وذكائه سياسة انكلترا كلها من منبر مجلس العموم . وقلنا ان الوزارة الانكليزية بعثت الى سكرتيره ورجله الخاص صاحب مصرف عظيم يدعى المركيز سيلفا ليتوسط لدى ريشار بان يقنعه بترك معارضة الوزارة ومجاراتها في رغائبها وفي مقابلة هذا الترك والمجاراة يمنحونه القاباً شريفة واملاكا واسعة و يزوجونه من احدى بنات النبلاء لانهم كانوا يظنونه عازباً . وقلنا ان زوجته جاني باتت تندب سوء حظها في بيت صغير مع مبراي الذي اقامه ابوها وامها قبل وفاتهما وصياً ورقيباً عليها . وذلك لان ريشار اقصاها عنه وعاش دونها في لندن تخلصاً من نفقات العائلة وانصرافاً الى السياسة لان نفسه اشتغلت بها عن كل شغل . ولم يبقَ فيها مكان للاهتمام العائلي)

٤

بعد ان تحادث المركيز سيلفا وطمسن سكرتير ريشار جاء طمسن الى ريشار وسأله الانفراد به . فاجابه ريشار وقال له لماذا طلبت ان تخلو بي هل لديك اخبار عن امرأتي . فاجاب كلا ولكن لدي اخبار عمن اصبحت اطوع لك من امراتك . فقال ومن تعني . قال الوزارة الحاضرة . فضحك ريشار وقال هل خفضوا رؤوسهم الشامخة . قال لم يخفضوها ولكنهم يمرغونها بالتراب تحت قدميك . فقال وماذا يطلبون . قال يطلبون ان تعدل عن المعارضة في عقد القرض الذي يرومون عقده لحاجتهم اليه . فاجاب ريشار بنزق : هذا محال لانني لا اخون الشعب الذي انتخبني واتخذني رجله . فاجاب طمسن : كأن فوزك قد اسكر لبك ايها السر ريشار انسيت مراتب العلى فقال ريشار وماذا اطلب اكثر مما بلغت

اليه فانني اديرالان سياسة انكلترا كلها من منبر هذا المجلس . فقال طمسن نعم ولكنك قد انفقت ثروة امراتك كلها تقريباً لان مقامك يقتضي نفقات طائلة وقدمضت على نيابتك ثلاثة اعوام وبقي ثلاثة اخرى فماذا يبقى لك بعد ان تنفق ما بقي من ثروة امراتك فيها

فاجاب ريشار : يبقى لي فقر شريف واسم منزه عن كل وصمة

فقال طمسن : ولكن الفقر والاسم لا ينصران في الانتخاب القادم وانت لا تجهل ما يقتضيه الانتخاب من المال

فقال ريشار : ان الشعب لا ينسى نصيره

فقال طمسن : الشعب قصير الذاكرة ياريشار وقد شبهوه بقلب المراة لسرعة تقلبه وهو قادر على الوضع لا على الرفع . اما مراتب العلياء فلا تنال الا بالملوك والوزراء

وما زال طمسن بريشار حتى ألان حديده فوعده ريشار بان يفكر في هذا الامر . وعلى ذلك كان وجود هذا الرجل بجانب ريشار آفة له وويلاً . وما برحت هذه وظيفة الصغار المملقين لدى اكابر الناس الذين يقربونهم اليهم لاستخدامهم في بعض المنافع فيؤثرون عليهم شرّ تاثير ويقودونهم الى الهاوية

ولما راى طمسن ان سيده قد لان بعض الشيء عاد الى المركيز سيلفا وساله ان يبسط له اقتراحاته فاجابه اننا لكي نكون على ثقة من دوام الوداد والصداقة بيننا وبين السر ريشار قد راينا ان نزوجه مس ويلور فقال طمسن مخفياً باحترام حفيدة جنابكم فقال المركيز نعم فان ابنتي كارولين (١) اقترنت باللورد ويلور فولدت منه قبل وفاته هذه الفتاة وهي وحيدتها ودخلها السنوي من املاكها مائة الف جنيه انكليزي وفوق ذلك ففي نفسي ان التمس من الملك ان يعطي الرجل الذي يقترن بابنة اللورد ويلمور لقب ابيها فيكون لورداً مثله

وكان ريشار يسمع هذا الكلام من وراء الباب فلما ذهب المركيز قال طمسن لريشار ما رأيك في ما سمعت فقرع ريشار كتف طمسن بكفه وقال له انسيت زواجي بجاني فضحك طمسن ضحكة شيطانية واجاب وانت انسيت الطلاق . — ومن هذا الحين خطر لريشار ان يذهب لمشاهدة جاني المسكينة

---

(١) يذكر القراء ان المرأة التي وضعت ريشار في الفصل الاول كانت تدعى كارولين وهي ايضاً ابنة المركيز سيلفا

وكانت جاني في بيتها في البرية تبكي فراق ريشار على ما تقدم وكانت في ذلك اليوم تنتظر عودة مبراي الذي ارسلته الى لندن ليلين قلب ريشار عليها فلما رات مركبة ريشار تقف امام بابها جنت فرحاً وابتهاجاً. وان الست ميليا الممثلة الاولى في جوق الشيخ سلامه التي تمثل دور جاني تمثل هذا الفصل باسلوب مستحسن جداً وقلما مثلت ممثلة على الملاعب العربية عواطف هذا الفصل كما تمثله الست ميليا

فلما دخل ريشار على جاني صاحت وانطرحت بين يديه وهي تبكي فقال لها ريشار بفتور مؤلم ما بك ياجاني فصاحت جاني والدموع تخنق صوتها: يسألني ما بي. بي انني ابكي واذوب شوقاً اليك. بي انني لم ارك منذ سنة كاملة. أفهمت ما بي؟ فقال ريشار كفكفي دموعك وهدئي روعك فاجابت جاني بصوتها الناعم الرقيق

نعم اصون دموعي وانتهي عن ولوعي
فقد رجعت الى من تهواك خير رجوع
بعد ابتعادك عاماً احرقت فيه ضلوعي
وليس لي من معين وليس لي من شفيع

فقال ريشار نعم عدت اليك ياجاني واغتنمت فرصة غياب مبراي لاخاطبك على انفراد. فاجابت: على انفراد؟ وهل لديك سرٌّ تروم اطلاعي عليه. فاجاب لدي مسألة اطلب منك الموافقة عليها فقالت موافقتي انا؟ فيالسعادتي مرني بما تشاء أأنت في حاجة الى المال لابيع احدى مزارع ابي. اجلس اولاً ياحبيبي فقال ريشار لا استطيع الجلوس لانني ساعود الساعة قالت تعود دون ان تاخذني فقال لااستطيع اخذك الآن هل تضجرين في هذا المكان فاجابت لا اضجر من الوحدة ولكني اضجر لكوني بعيدة عنك لا سيما وانك لا تجاوبني على رسائلي فقال اظنك تعرفين السبب فاجابت

لا تعتذر لا تعتذر اني بشغلك داريه
لكننا نحن النسا ء نرى الحياة الغاليه
موجودة للحب لا للحادثات القاسيه
ولذاك كنت نسيت سعـ يك في الامور الجاريه
حتى فطنت لما عليك به بلادك قاضيه
فشكرت صنعك كلما اتلو الجرائد نائيه
وطربت لاسمك حين تذكره بحمدك داعيه

فلقد هززت الارض با لخطب الغوالي الغاليه
ياليتني قد كنت سا معة هنالك رائيه

فاجاب ريشار ولكنك تعلمين ان حالتنا المالية لا تساعدنا على ذلك فقالت جاني نعم وهذا ما جعلني انتظر واصبر ولكن اصدقني ايها الحبيب اما من مانع يمنعك من اقامتي معك في لندن غير رغبتك في الاقتصاد فقال هذا اهم الامور فقالت اسمع اذن ياريشار انني اريحك واستريح معاً فانني اتنازل عن كل حقوق الزوجة وارضى بان اعيش سراً في المنزل الذي تعيش فيه دون ان يدري احد انني امراتك وبذلك تقتصد ما تريد اقتصاده ايرضيك هذا الشرط ياريشار فقال ريشار وقد هزّ راسه لا ريب انك مجنونة فقالت جاني بانكسار فلندع اذاً هذا الحديث وقل لي ما هو الامر الذي قلت انك جئت من اجله

فقال ريشار وقد تامل هنيهة ان هذا الامر يعيدنا الى الحديث الذي كنا فيه فقالت جاني وما هو فقال مترددا مقطعاً كلامه هو ان مركزي السياسي في لندن .. وبعض الاحوال الوزارية الخصوصية . صارت تقضي بزيادة البعد بيننا

فصاحت جاني حينئذ بدموع

اما كفاك اغترابي عنك من زمنٍ قاسيتُ فيه ضروب الهمّ والاسفِ
فاي عذ له ترضى اما انقطعت بيني وبينك سبل الودّ والشغف
ولست اسمع عما انت فيه سوى ما بتُّ اقرأه في سائر الصحف

ريشار: هل ذاك عتب وتأنيب اردتِ به غيظي لتنتقمي مني وتنتصفي

جاني: كلا ولكنها شكوى ابوح بها واستعين بدمعي المغدق الوكف

ريشار: مالي على هذه او تلك مصطبر

جاني: فكيف اصنع ياويلي وياهفي

واي امر اذاً قد جئت تطلبه نبح بسرك يا ريشار واعترف
اترك انكليترا وهي التي حفظت عظام آبائي الماضين والسلف
ماذا تريد وماذا ترتضي والى متى ابتعادي عن زوج به شرفي

فاجاب هنا ريشار ببرد اشد من برد طين الشتاء اخطأتِ ياجاني فانا لا اريد اكراهك على الخروج من انكلترا بلاد آبائك واجدادك وليس لي حق في ان اطيل هجرك ونفيك .. لقد اخطأ الدهر اذ ربطني واياك برباط واحد مع ما بيننا من تفاوت الاخلاق وتباين الطباع ولكن يجب ان لا تقع تبعة هذا الخطأ على راسك بل يجب عليّ ان أُعيد

لك هناءك وحريتك

فقالت جاني بدهشة لم افهم حرفاً واحداً مما تقول فقال ريشار متمماً حديثه ومع ذلك ياجاني فان الذي جئت اقترحه عليك الآن امر موجود بيننا وانما انتِ تتحملين مضاره دون ان تتمتعي بمنافعه

فصاحت جاني تكلم تكلم كمل كمل لانني لا افهم شيئاً .. آه بل اسكت اسكت لانني بدأت افهم

فقال ريشار فلو كان بيننا انفصال . فقالت جاني: كلمة اخرى ايضاً. فقال(شرعي) فصاحت كلبوة جُرحت: الطلاق؟ فقال ريشار نعم الطلاق فصاحت جاني باكية آه يالهي آه يا ابي وامي. فاتمّ ريشار قائلاً فلو كان بيننا طلاق فقالت آه ما اقساك اسكت والا قتلتني فقال ريشار لماذا تخافين الطلاق ياجاني مع اننا نعيش الآن في حالة كحالته فهل تخافين كلام الناس فاجابت انا لم انظر الى السلاح ولكني شعرت بطعنته. فقال ريشار ببرادة الثقلاء ولكنها طعنة يشفيها الزمان ياجاني فانك لا تزالين فتاة فاذا احببت حباً آخر..

فصاحت هنا جاني بجنون بالغ مبلغه— حباً آخر. آه ياللعار.. تقول حباً آخر؟... اقتلني ولا تهني.. انا احمل عذاب القتل ولكني لا احمل الاهانة

فقال ريشار لا قتل ولا اهانة ياجاني.وما هذه سوى الفاظ فارغة واشارات باطلة لا ترجعني عن غرضي. فاجابت باكية انه غرض فظيع

غرض فظيع ان وصلت اليه لم ... تسلم من التقريع والتأنيبِ
أتريد تطليقي كأني لم اكن ... ادعوك قرّة ناظري وحبيبي
أتريد حرماني من السند الذي ... ارجوه عند الحادث المرهوب
ونسيت ما قد كنت تبدي من رضى ... وعناية بي راجياً تقريبي
هلا ذكرت مواثقاً أكدتها ... لابي وامي يوم كنت خطيبي
هلا رثيت لزوجة مسكينة ... محرومة من ناصر وقريب
وكفيتني نكد الحياة لانني ... لا استحق مرارة التعذيب

فقال ريشار: ومن قال انني اعذبك ياجاني فانني لا ادع احداً يعرف بامر طلاقك وان كنت تخافين تشهير المحكمة وتفاصيل المحاكمة فاعلمي انني لا ارفع قضيتنا الى المحكمة ابداً لان ذلك يضر بمصلحتي

فقالت وكيف اذن تريد الطلاق فانني لم اعد افهم شيئًا

فقال اننا نتفق ياجاني معًا على الطلاق ومتى رضيتِ به لم يبقَ من حاجة الى المحكمة طبقًا للقانون

فصاحت هنا جاني بغضب شديد : ماذا؟ أتحسبني لئيمة الى هذا الحد ؟ هل خطر في بالك انني اوقّع من تلقاء نفسي على صك اقول فيه انني ساقطة غير اهل لان اكون زوجة السر ريشار. اذًا انت لم تعد تعرف اخلاقي . فان الدموع والمصائب قد غيرتها وجعلت في نفسي ارادة قوية قادرة على الصبر والثبات . وهذا من سوء معاملتك. هذه نتيجة عملك. فلننظر الآن من منا الاقوى . انا الضعيفة ام انت القوي ؟ ايها السر ريشار انا ارفض ما طلبت

وقد قالت ذلك برأس شامخ وصوت مرتجف من الغضب والانفعال

فبهت ريشار ثم قال بسكينة : ايتها السيدة لم اتخذ معك الى الآن غير اللين والمسالمة

فقالت بغضب : جرب غير اللين اذا اردت

فدنا ريشار منها بثبات جاش وتجهم وقال : جاني

فحطت جاني خطوة نحوه وقالت بجد وتجهم ايضًا : ريشار

فقال ويلك ايتها التعيسة اتعلمين ماذا افعل بك اذا اصررت على الرفض

فقالت ربما فطنت الى ذلك

فقال اولا ترتعدين اذًا

فقالت ارتعد ؟ ولماذا. انظر اليّ

فقبض ريشار على يدها بقوة وقال ايتها المراة عودي الى رشدك

فجثت جاني بانكسار لفروغ غضبها وانتهائه وصاحت : آه يا رباه . فانهضها ريشار قائلاً لماذا تجثين ؟ فقالت رفقًا به يا الهي لانه لا يعلم ماذا يفعل. فهنا غضب ريشار وصاح بها : بل ادعي الله ايتها المرأة ان يرفق بكِ انتِ لانكِ احق بالشفقة مني . انا ذاهب وهذا آخر عهدي بكِ . قال هذا واندفع نحو الباب يريد الخروج . فوثبت جاني وتمسكت به وطوّقته بذراعيها صارخة ريشار ريشار بعيشك لا تذهب

فحاول ريشار التملص من ذراعيها فدفعها وهو يقول : دعيني دعيني . فقالت باكية ريشار ريشار آه لو تعلم كم احبك

فقال برهني على حبك لي بخضوعك . فقالت جاني تناجي نفسها . آه يا اماه لقد صدقت

بقولك عن اخلاقه

وكان ريشار قد سئم تعلقها به فقال : اسالكِ للمرة الاخيرة اتتركينني ام لا ؟

فاجابت المسكينة مستعطفة : حبيبي . روحي . اسمع لي

فقال ريشار بضجر بل اسمعي لي انتِ . ارضي بما طلبته منكِ . اياكِ ان تكتبي لي بعد اليوم حرفًا واحدًا او يعرف احد بوجودك . اودعكِ الان

قال هذا وهمّ بالخروج . فانطرحت جاني ثانيةً عليه وامسكت به قائلة : لا . لا تذهب

فغضب ريشار غضبًا شديدًا وصاح : افّ من هذا الدلال . فقالت وهي ممسكة به انك لا تسافر الان ولو قتلتني

فلما رأى تعلقها به دفعها عنه دفعة شديدة بكل قواه فسقطت على الارض ورضّ رأسها فاغمي عليها وسال دمها

وبعد ذلك خرج ريشار غاضبًا وهو يقول ويل للوزراء فانني سانا قشهم الحساب على ما قاسيته من العناء في هذا المكان

(البقية للجزء التالي)

اجداد السوريين القدماء

خلاصة من تاريخ الفينيقيين

مدنهم . حكومتهم . عاصمتهم . بناؤهم قرطجنة . ديانتهم . صناعتهم . بحريتهم بضائعهم . تاثيرهم على العالم

وصفها فينيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخًا وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية واعلى سلسلة في جبل لبنان . بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل اودية ضيقه ومجارٍ حرجة متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسايل من الثلوج . تعبث بها العواصف الى آخر الربيع اما في الصيف فينضب ماؤها الا ما خزن منه في الآبار والصهاريج . ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم